مجلة العلوم الاجتماعية
والإنسانية

جامعة محمد بوضياف
بالمسيلة

العلاقات الثقافية للدولة الحمادية
" مرحلة القلعة نموذجا (461-408هـ/1017-1070م)"

د. عبد الغاني حروز جامعة مسيلة

الملخص

تختص هذه الدراسة بتوضيح العلاقات الثقافية بين الدولة الحمادية **"مرحلة القلعة "** و بقية الدول المجاورة لها كالدولة الزيرية و الفاطمية و المرابطية، و كذا صقلية و بلاد الأندلس خلال الفترة **(461-408هـ/1017-1070م)**، و التي نحاول من خلالها تسليط الضوء على طبيعة العلاقة بين هاته الدول و الدولة الحمادية، و التي تميزت بالتعاون و نسج علاقات وطيدة في الجانب الثقافي.

و لدراسة طبيعة هذه العلاقات الثقافية التي كانت تربط بين الدولة الحمادية مرحلة القلعة و بقية الدول المجاورة لها، تطرقنا في بداية الأمر بالتحدث عن العلاقات مع بني عمومتهم الزيريين، ثم الفاطميين وصولا إلى علاقاتها مع الدولة المرابطية، و في الأخير تحدثنا عن العلاقات الثقافية الخارجية التي ربطت الدولة الحمادية بكل من جزيرة صقلية و بلاد الأندلس. و قد اعتمدنا في ذلك على مصادر و مراجع عديدة تخدم الدراسة.

و خلصنا في نهاية الدراسة إلى مجموعة من النتائج أهمها أن قلعة بني حماد ربطت علاقات مع مختلف الشعوب و الأمم، ذلك أن أهلها أيقنوا بقيمة و حقيقة التفاعل فنسجوا علاقات تفيدهم في تطوير الثقافة و المعرفة بها.

مقدمة:

مما لا شك فيه أن العلاقات الثقافية بين الدول، من العوامل التي تغذي الحياة الفكرية، و تبعث فيها النشاط و التنوع و هي من الأمور التي تلجأ إليها الدولة بقصد منها، أو تحدث بعوامل أخرى لا دخل للدولة فيها إذ لا يمكن لأي دولة، مهما كانت، الاستقلال بفكر معين لديها دون أن تتأثر بالفكر الخارجي المحيط بها أو تؤثر فيه. فعملية التأثير و التأثر بارزة، و أبرز ما تكون في الدول العربية الإسلامية مشرقا و مغربا؛ و التي من بينها الدولة الحمادية **(1)** بالمغرب الأوسط و التي تأسست بمدينة القلعة **(2)** التي أصبحت منارة للعلم و المعرفة. **(3)**

و قد ساهم احتكاك الحماديين بالأندلسيين و الأفارقة و الصقليين و غيرهم إلى تفاعل الثقافات، مما ساعد في تشكيل الملامح الأساسية للشخصية الثقافية و ازدهارها و رقيها.

كما إن أهم ظاهرة يلحظها الباحث في دراسته للحياة الفكرية هي ظاهرة التنافس الثقافي بين المشرق الإسلامي و المغرب الإسلامي و الأندلس خاصة بين عواصمها، و اشتهار إن لم نقل تخصص كل حاضرة بلون معين من العلوم، و كان سبب نجاح هذا التنافس –كما رأينا في الفصل الأول- بالنسبة للحماديين رعاية أئمتهم للعلماء و المفكرين و تشجيعهم و إغداق الأموال عليهم.

و مما زاد في إشعاع الحركة الفكرية في الدولة الحمادية - بمركزيها القلعة و بجاية فيما بعد- إشعاعا فكريا هو تنقل طلاب العلم و المشائخ بين الحواضر الإسلامية في شكل بعثات و رحلات علمية. **(4)** حيث كان للدولة الحمادية علاقات ثقافية وطيدة بعديد من الدول بالمغرب الإسلامي و المشرق و المدن الايطالية. ذلك أن دولة بني حماد كانت صفحة من ألمع صفحات الحضارة الجزائرية الإسلامية. **(5)**

الإشكالية:

لقد تبادر إلى ذهننا و نحن نهم بالولوج إلى هذه الدراسة جملة من التساؤلات ، كانت هي الإشكالية التي دفعتنا إلى البحث فيها لخصناها في الأسئلة التالية :

- ما طبيعة العلاقات الثقافية التي أقامها الحماديون مع جيرانهم؟
- فيما تمثلت هذه العلاقات التي ربطت الدولة الحمادية –مرحلة القلعة- بغيرها من الدول و الإمارات ؟
- و ما مدى مساهمتها في الحياة العلمية بالدولة تأثيرا و تأثرا؟

<u>1- العلاقات مع الزيريين :</u>

رغم العداوة التي ميزت طبيعة العلاقات بين بني زيري و بني حماد، إلا أنه في أثناء الفترات التي كان يسود فيها السلام و التصالح بين الدولتين، كانت العلاقات الثقافية تنتعش بين الطرفين.

فقد فضل عدد كبير من العلماء و الفقهاء و الأدباء و الشعراء و المفكرين الأفارقة البقاء في ديار بني حماد، خاصة بعد أن فتح لهم الأمراء الحماديون المجال و أجزلوا لهم العطاء، و استدعوهم إلى مجالسهم و مناظراتهم. **(6)**

و من هؤلاء نذكر ما يلي :

1-1- ابن الكفاة القيرواني :

و هو الذي مدح الأمير الناصر بن علناس الحمادي، حيث قال :

قالت سعاد و قد زمت ركائبها ۞ مهلا عليك فأنت الرائح الغادي

فقلت تا الله لا أنفك ذا سفر ۞ تجري بي الفلك أو يحدو بي الحادي

حتى أقبل ترب العز منتصرا ۞ بالناصر بن علناس بن حماد**(7)**

2-1- أبو الفضل النحوي التوزري:

و أصله من توزر، تعلم بإفريقية على أئمة كبار مثل " اللخمي " و " المازري" ثم قصد المغرب الأقصى، و كان متأثرا بآراء الغزالي، ثم انتقل إلى القلعة عام 494هـ/1100م و استقر بها و مارس مهنة التدريس في هذه المدينة، وكان شاعرا فاضلا و زاهدا قضى ثلاثة عشر عاما كلها في العبادة و التدريس، و توفي عام 513هـ/1119م. **(8)**

لقد ساعد هؤلاء العلماء و الفقهاء القادمون من افريقية على النهوض بالحركة العلمية و الثقافية في بجاية **(9)** و الجزائر،و تلمسان **(10)** و القلعة و مدينة المسيلة و غير ذلك من المدن الحمادية.كذلك شجع بنو حماد في أشير و القلعة رحيل الطلاب و أبناء دولتهم إلى القيروان للتزود بالعلوم،و ذلك قبل الهجرات الهلالية و لاسيما بعد أن تم الصلح مع المعز بن باديس عام 408هـ/1080م.و من بين الشعراء الذين هاجروا إلى القيروان نجد :

3-1- أبو علي الحسن بن رشيق:

و هو من شعراء الدولة الزيرية ، و من أحد الفضلاء و البلغاء، ولد بالمهدية **(11)** سنة (390هـ/1000م) و توفي سنة (463هـ -1071م) دخل القيروان و مازال بها حتى هجم عليها قبائل بني هلال. **(12)** و اتصل بالأمير الزيري المعز بن باديس، و أصبح من شعرائه، ثم انتقل مع المعز إلى المهدية أثناء حصار بني هلال للقيروان.و يوجد لابن رشيق ديوان شعري يشتمل على مائتين و أربعة عشرة قصيدة . **(13)**

2- العلاقات مع الفاطميين:

استفاد الحماديون من الأوضاع التي كانت مواتية، فعندما انفصل المعز بن باديس عن الخلافة الفاطمية و اجتاحت القبائل الهلالية ملكه في افريقية**(14)** ، أظهروا الطاعة للفاطميين التي أعلنها القائد، لكنها لم تكن بنية خالصة، و إنما هي مدارة سياسية فرضتها الظروف للمحافظة على دولته، هذا ما أثبتته إحدى الوثائق الفاطمية المعاصرة لهذه الأحداث ، مما يبرهن على الحنكة السياسة لبني حماد. فكانت هذه الطاعة للفاطميين تمثل حلقة في لعبة التوازن و تغيير المعسكرات، طبقا لتغيير الخصوم، و الاستفادة من وضع أبناء عمومتهم ، فضلا عن تجنب عقاب محتمل وقوعه على يد بني هلال.

و مهما يكن من أمر فقد استفاد الحماديون من هذا كله ليقيموا علاقات طيبة مع الفاطميين، مما أتاح لمدينة القلعة و بجاية فيما بعد احتلال مكانة القيروان التجارية و الفكرية في المغرب. خاصة بعد أن هاجر الناس إلى بلاد بني حماد بسبب الغزو الهلالي. **(15)** و رغم ذلك لم تكن العلاقات الثقافية و الفكرية متصلة بين الفاطميين و الحماديين إلا نادرا ، و ذلك نظرا لاختلاف المذهبين الشيعي الإسماعيلي و المذهب السني المالكي. و بالتالي لم تشهد العلاقات الثقافية نموا و ازدهارا كبيرين إلا أن ذلك لم يمنع من تنقل العلماء، و الطلاب الذين كانوا يدرسون العلوم غير الشرعية مثل الطب و الفلك و الكيمياء و الرياضيات، فهذه العلوم لا تتصل بالمذهب الشيعي الإسماعيلي. **(16)**

و من بين العلماء الذين هاجروا إلى مصر نجد منهم :

2-1- أبو عبد الله محمد القلعي الأصم:

خرج من قلعة بني حماد مهاجرا ، و أخذ ينتقل حتى وصل إلى الإسكندرية و أقام بها مدة زمنية ثم رجع إلى المغرب و عاش به زاهدا.

2-2- أبو محمد عبد الله بن سلامة: و هو فقيه و أديب، هاجر إلى القلعة ثم بجاية ثم إلى الديار المصرية ، و استقر به الحال بها . **(17)**

2-3- أبو الحسن بن اليدوخ:

ولد بالقلعة و التحق ببجاية و كان طبيبا بارعا بالمغرب غادر المغرب الأوسط قاصدا المشرق، فجال في ربوعه و استقر في دمشق و بقي يعالج الناس حتى مات بها سنة (575هـ/1180م). و خلف كتبا مهمة في الطب منها " حواشي على كتاب القانون لابن سينا " و كتاب " ذخيرة الألباب في الباءة ".**(18)** و يرجع هذا الاحتكاك الثقافي إلى سياسة الفاطميين في مصر التي كانت تشجع أبناء المغرب للدراسة بالجامع الأزهر، أين كان يدرس المذهب الشيعي، و الذي كانوا يسعون لنشره لكن المغاربة لم يقبلوا على دراسة هذا المذهب.

3- العلاقات مع المرابطين (19):

لم تكن العلاقات بين بني حماد بالمرابطين ودية تماما، و إنما كانت تتخللها بعض المناوشات و الحروب الصغيرة، نتيجة اصطدام الحماديين بسياسة المرابطين التوسعية، فمن المعروف أن المرابطين بعد أن أقاموا دولتهم في المغرب الأقصى ، آثروا الانقضاض على المغرب الأوسط للقضاء على بقايا الزناتيين **(20)** لينصرفوا بعد ذلك لفتح السهول الشمالية باطمئنان.و هكذا ساد العلاقات بين المرابطين و الحماديين توتر واضح المعالم، و لكنه لم يؤد إلى صدام مسلح بين الطرفين، و لعل ذلك يرجع إلى حد كبير إلى تماسك المرابطين بصلة القربى التي تجمع بينهما، و كان في وسع المرابطين أن يفرضوا سيادتهم الكاملة على دولة بني حماد. **(21)**

و رغم هذا فإن العلاقات الثقافية بين الحماديين و المرابطين كانت قوية و مرتبطة ارتباطا وثيقا ، ذلك أن العلماء كانوا يتحركون على طول المحور من الشرق إلى الغرب ، أي من القيروان إلى القلعة ثم فيما بعد من بجاية إلى فاس**(22)** و مراكش ، أي من المدن الحمادية إلى مدن المغرب الأقصى طلبا للتدريس بعد أن غادروا القيروان.

بل أن كثير من العلماء استقروا بالمغرب الأوسط، ثم رحلوا مرة ثانية إلى المغرب الأقصى، و من بين هؤلاء ما يلي :

3-1- محمد بن أصبغ بن أبي الدوس المكنى بأبي بكر:

ولد بمرسية و درس بها، ثم استقر في اشبيلية و عين مدرسا لأبناء المعتمد محمد بن عباد و من ألمرية انتقل إلى أغمات ثم تلمسان و مات بمراكش عام 511هـ/1117م.

3-2- الشاعر و المؤرخ محمد بن حماد الصنهاجي:

ولد ببرج حمزة عام(478هـ/1058م) و قد ولي القضاء بالجزيرة الخضراء، و بالمغرب الأقصى. **(23)**

كذلك رحل الطلاب من بلاد بني حماد إلى بلاد المرابطين، حيث احتلت فاس مكانة القيروان، و كانت ذات شأن في الحياة الثقافية فذهب إليها المغاربة و المشارقة و نهلوا من علومها ما تسنى لهم.

و الواقع أن الصلات و الروابط الثقافية بين المغرب الأوسط و المغرب الأقصى ظلت متماسكة، بدليل أن العلماء و الطلاب كانوا على اتصال دائم بينهم. **(24)**

4- العلاقات مع صقلية(25):

من صور العلاقات الثقافية بين المغرب الأوسط و صقلية استقرار بعض العلماء القلعيين الذين رحلوا من القلعة باتجاه افريقية، من أمثال علي بن عبد المعطي القلعي.

و من جهة ثانية زار بعض الأدباء و الشعراء الصقليين بلاد بني حماد من أمثال

4-1- أبو محمد عبد الجبار بن أبي بكر بن محمد بن حمديس الأزدي الصقلي(26):

الذي ولد بسرقوسة بجزيرة صقلية عام " 447هـ/1055م "، سافر على الأندلس عام 471هـ1079م ، ثم استقر ببجاية، حيث أصبح شاعر بلاط بني حماد.

بحيث كانت القلعة و بجاية مرفأ آمنا تتلقى الباحثين عن المعرفة، و فيها لقي ابن حمديس الصقلي كل الترحيب و التكريم. **(27)**

و من بين العلماء الذين قدموا إلى المغرب الأوسط أيضا من صقلية نجد :

4-2- أبو عبد الله محمد بن ابي الفرج المازري المعروف بالذكي :

و هو صقلي الأصل، سكن قلعة بني حماد ، و تعلم بها الفقه و الأدب و علوم القرآن، كما درس على يد أبي الفضل النحوي و القاضي عبد الله بن داود ، ثم انتقل إلى المشرق. **(28)**

و هذا ما يعطينا صورة كافية للتدليل على وجود علاقات كانت بين علماء صقلية الإسلامية و وعلماء بلاد المغرب على وجه العموم.

5- العلاقات مع الأندلس :

انتقل علماء الأندلس إلى الدولة الحمادية، و شجع أهل المغرب الأوسط أبنائهم على تلقي العلوم على أيدي هؤلاء العلماء، مما أشاع جوا حضاريا و علميا لم تشهده البلاد من قبل خاصة بعد أن فسح المجال أمام هؤلاء العلماء لكي يشاركوا في حلقات الدروس في المساجد، و المدارس و لا سيما في جامعة سيدي التواتي التي كانت تضم حوالي ثلاثة آلاف طالب ، و كان يدرس بها ما لا يقل عن عشرة من علماء الأندلس في مختلف العلوم كالطب و الهندسة . **(29)** و من العلماء الذين هاجروا من الأندلس إلى المغرب الأوسط نجد صنفين من العلماء :

منهم من هاجروا بغير إرادتهم كالنفي، و منهم الذين هاجروا بمحض إرادتهم و لم يختاروا الإقامة لا بالمغرب الأقصى و لا بالمغرب الأدنى لأسباب سياسية أو دينية متعلقة بالمذهب و العقيدة.

و من العلماء الذين قدموا إلى المغرب نذكر ما يلي :

5-1- أحمد بن عبد الله بن ذاكون المكنى بأبي العباس :

و هو أحد أبرز العلماء و كان يشتغل قاض قضاة الأندلس.

5-2- عمر بن عبيد الله بن زاهر.

5-3- أحمد بن طاهر بن علي و المكنى بأبي حفص القطبي.

5-4- عبد الملك بن مروان بن علي القطان :

الأندلسي الأصل ، و هو من مدينة قرطبة سكن بونة و درس بها الفقه و الحديث ، و ألف في شرح الموطأ. **(30)**

5-5- أحمد بن حصين بن احمد الأنصاري :

ولد بدانية عام (467هـ/1075م) ، و درس بهذه المدينة ، انتقل إلى مدينة بلنسية و منها إلى ألمرية و عبر البحر إلى بجاية و منها إلى القلعة ، حيث درس على يد أبي مروان الحمداني و على المازري، ثم اتجه من القلعة إلى بجاية و درس بها على يد أبي محمد المقري ثم عاد إلى الأندلس و استقر بمسقط رأسه دانية حتى مماته (532هـ/1138م).

5-6- الشاعر محمد بن عيسى المكنى بأبي بكر المعروف بابن اللبانة :

تمتع بقدر عال من الموهبة خاصة في الشعر و الموشحات و الأزجال و الأدب ، فاتسعت ثقافته بفضل هذا الاحتكاك مع شخصيات مهمة منهم الأمراء. و بعد التغيرات السياسية التي عرفتها الأندلس

ضاعت شهرته، و قلت موارده و مداخيله المادية، و تجول في الأندلس و اتجه إلى المغرب الأوسط. **(31)** بالمقابل نجد مجموعة من علماء القلعة و المغرب الأوسط ككل قد هاجروا إلى الأندلس إما للدراسة أو التدريس و نذكر منهم ما يلي :

5-7- حسن بن محمد بن سلمون المسيلي المكنى بأبي علي :

حيث سافر هذا العالم إلى قرطبة لمواصلة دراسته و تبحره في العلم.

5-8- عبد الله بن حمو المكنى بأبي محمد :

اتجه هذا العالم إلى المرية للتدريس، و بقي هناك مدة طويلة نقل خلالها كل معارفه و علومه إلى أبناء الأندلس حتى توفي عام(473هـ/1080م).

5-9- أبو محمد عبد الحق بن عبد الله بن ابراهيم الأزدي الإشبيلي :

و هو الفقيه و المحدث الحافظ، العابد ، الزاهد و القاضي ، من اشبيلية ، رحل إلى بجاية و اتخذها موطنا له ، وولي القضاء، و صلاة الجمعة بجامعها الأعظم و له كتاب في علم التذكير و ألف العديد من الكتب خاصة في علم الحديث. **(32)**

5-10- أحمد بن عبد السلام بن عبد الملك ابن موسى الغافقي المكنى بأبي العباس :

قدم إلى الأندلس و استقر بمدينة غافق التي انتسب إليها. **(33)**

5-11- ابن النباش أبو عبد الله محمد بن عبد الله بن خالد البجائي :

كان بارعا في الطب، و مواظبا على علاج المرضى و له معرفة بالعلوم الطبيعية، و له مشاركات في الفلسفة، ارتحل إلى مرسية و بها نفي مدة طويلة. **(34)**

و بعد هذه الرحلات المتبادلة من العلماء بين البلدين ظهر التأثير الأندلسي في المغرب الأوسط لاسيما في الشعر الصوفي و الغنائي مثل الموشحات ، و كذلك طرق التدريس و الإجازات العلمية، و أيضا في الخط العربي، خاصة الخط الكوفي الذي اعتنى به. **(35)**

و في الأخير يمكن القول أنه إذا كانت القلعة قد تبوأت مكانة حضارية عالية على وجه العموم، فإنها أيضا قامت بدور بالغ الأهمية في الميدان العلمي و الثقافي على وجه الخصوص، وذلك منذ الأيام الأولى لنشأتها، و بقيت كذلك تؤدي رسالتها العلمية حتى بعد نقل العاصمة إلى بجاية بفترة طويلة، و لم تفقد مكانتها العلمية بين سائر المدن الإسلامية آنذاك.

و لعل أصدق دليل على ذلك ما ورد في كتب المؤرخين من إشارات إلى بقاء بعض العلماء بها لمدة زمنية بلغت الأربعين سنة بعد نقل العاصمة الحمادية إلى بجاية مما يدل على أن القلعة لم تفقد مكانتها العلمية إلا بعد مرور فترة زمنية طويلة من تأسيس مدينة بجاية.ربما كان السبب في ذلك هو خراب المدينة نهائيا، و إلا لما فقدت مكانتها و استمرت في نشر العلم و المعرفة. **(36)**

و من هنا يمكننا أن نستنتج من خلال هذا الفصل ما يلي :

- ثبت أن قلعة بني حماد قد ربطت علاقات مع مختلف الشعوب و الأمم، ذلك أن أهلها أيقنوا بقيمة و حقيقة التفاعل فنسجوا علاقات تفيدهم في تطوير الثقافة و المعرفة بها.

- تأثرت القلعة و أثرت بفكرها و فكر غيرها و هذا ما جعل منها بحق القاعدة الأولى لبني حماد و بلا منازع.

- ساعد الموقع الاستراتيجي للقلعة الرابط بين افريقية و المغرب الأقصى من جهة و الأندلس من جهة أخرى في ربط علاقات مع الأسر و الأمم المجاورة لها.

- ثبت أن الحماديين بالقلعة قد تأثروا بفكر بني عمومتهم بني زيري ، إن لم نقل أن الأرضية الخصبة التي انطلق منها بني حماد لبناء حضارتهم هو ما ورثوه من ثقافة و فكر زيري، بحكم القرب الجغرافي من جهة و بحكم هجرة العلماء بني زيري من القيروان إلى القلعة لحصانتها العسكرية و طلبا للأمن و الاستقرار،و هربا من زحف القبائل الهلالية.

- على وجه النقيض لم يحقق بني حماد بالقلعة اتصالا فكريا و ثقافيا كبيرا مع الفاطميين، بحيث لم تشهد العلاقات بينهم نموا كبيرا و هذا راجع للاختلاف المذهبي بين مذهب سكان القلعة المالكي السني و مذهب الفاطميين الشيعي الاسماعيلي.

- تمكنت القلعة من بناء علاقات مع المرابطين نتيجة قوة الاحتكاك الكبير، باعتبار أن القلعة كانت على محور و طريق هام يجوبه العلماء و طلاب العلم عند ارتحالهم من فاس و مراكش باتجاه القيروان.

- كما نسجت القلعة علاقات مع جزيرة صقلية الإسلامية رغم البعد الجغرافي بطريقة أو أخرى، من خلال هجرة علماء صقليين إليها و صاروا يتصدرون مجالس علمها و حتى بلاطات أمرائها، كما ارتحل علماء قلعيين إلى افريقية و منها إلى صقلية و ساهموا في حضارتها.

- أما مع الأندلس فكان حظ القلعة و بجاية أكثر، فقد أثر علماء الأندلس بشكل ملفت للانتباه في فكر و ثقافة المغرب الأوسط، و يظهر جليا في هجرة العشرات منهم إلى القلعة و بجاية فأشاعوا بذلك جوا حضاريا و علميا لم تشهده بلاد المغرب من قبل.

الهوامش:

[1] - ترجع البوادر الأولى لتأسيس هذه الدولة إلى وفاة باديس الذي بويع ابنه المعز 454هـ/1062م كخليفة لوالده الذي واصل مشواره الحربي ضد حماد إذ بمجرد وفاة باديس، قام حماد بالزحف على أشير التي خرجت على سيطرته نتيجة خيانة أهلها وكان في ذلك الوقت بها كرامة الوصي المؤقت على عرش افريقية بعد وفاة باديس، حيث تفاجأ بحماد على رأس قوة تعدادها 1500 مقاتل وقد انتهت المعركة بهزيمة كرامة وعودته إلى القيروان. لذا بعث حماد بعد ذلك إلى باغاية أخاه إبراهيم ليلتقي بأيوب بن ياطوفت و يحمل إليه سلام حماد، ويعلن له أن ما حدث كان بقضاء الله (الحرب بينهما) وأنه وأخاه على طاعة المعز بن باديس وأخبره أن حماد يطلب الصلح منه، ويبعث له من يثق به من أجل أن يخلفه ويأخذ العهود المكتوبة ليطمئن، فصدقه أيوب وبعث معه أخاه حمامة وحبوس بن القائم بن حمامة وتبعهما غلام أيوب يورين، فغدر حماد بهم وجردهما من الثياب وألبسهم ثياب رثة، وقتل غلام أيوب الذي كان عنده أعز من الولد. ثم زحف حماد لمحاصرة باغاية فبلغ الخبر بذلك المعز فزحف إليه وسارع بالعساكر إلى حماد وقاتله حتى هزمه وقتل أصحابه وأسر أخاه إبراهيم سنة 408هـ/1017م. ولما انهزام حماد وتفرق أصحابه عنه طلب الصلح من المعز, ولكن المعز اشترط عليه أن يبعث ابنه كضمان على صدق نواياه، فبعث حماد ابنه القائد عام408هـ/ 1017م فعقد له المعز الصلح، واستقل حماد بذلك بعمل المسيلة وطبنة ومقرة ومرسى الدجاج وسوق حمزة وزواوة، وهكذا انتهت الحرب بينهما وانقسمت صنهاجة إلى دولتين: دولة آل زيري بأشير ثم القيروان و دولة بني حماد ملوك القلعة ثم بجاية. وهكذا نعتبر تاريخ 408هـ/1017م هو التاريخ الفعلي لتأسيس لدولة بني حماد بعد الاعتراف الزيري بها.ينظر: أبو زيد عبد الرحمان ابن خلدون: **كتاب العبر و ديوان المبتدأ والخبر في أيام العرب و العجم و البربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر**، مكتبة القاهرة، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، لبنان، 1971، ج6، ص:185-188؛ ابن عذاري المراكشي: **البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب**, تحقيق, كولان وليفي بروفنسال, ط3, الدار العربية للكتاب, بيروت, 1973م, ج1,ص269؛

[2] - يرجع الفضل في اختطاط و تأسيس مدينة قلعة بني حماد عام 398هـ/1007م إلى الأمير حماد بن بلكين بن زيري بن مناد, الصنهاجي (تـ 419هـ/1028م) الذي اتخذها عاصمة لإمارته التي انفصلت عن الدولة الزيرية. و في ذلك يقول ابن خلدون : «...و اختط مدينة القلعة بجبل كتامة سنة ثمان و تسعين، و هو جبل عجيسة ،و ولى العهد قبائل عياض من عرب هلال. ونقل إليها أهل المسيلة و

حمزة و خربهما. و نقل جراوة من المغرب و أنزلهم بها، و تم بناؤها و تمصيرها على رأس المائة الرابعة. و شيد من بنيانها و أسوارها، و استكثر فيها من المساجد و الفنادق فاستبحرت في العمارة و اتسعت بالتمدن. ورحل إليها من الثغور و القاصية و البلد البعيد و طلاب العلوم و أرباب الصنائع لنفاق أسواق المعارف و الحرف و الصنائع بها » ينظر: ابن خلدون: **العبر**, ج6, ص 202 .

3 - بحاز إبراهيم بكير:**الدولة الرستمية - دراسة في الأوضاع الاقتصادية و الحياة الفكرية**،ط2،نشر جمعية التراث القرارة الجزائر ،1993،ص382.

4- عيسى بن الذيب و آخرون: **الحواضر و المراكز الثقافية في الجزائر في العصر الوسيط**، سلسلة المشاريع الوطنية للبحث ، منشورات المركز الوطني للدراسات و البحث في الحركة الوطنية و ثورة أول نوفمبر 1954م،الجزائر ،2007م، ص 141.

5 - عبد الحليم عويس: **دولة بني حماد صفحة رائعة من التاريخ الجزائري**, ط2, دار الصحوة, القاهرة, 1991م,، ص 281.

6 - عبد الفتاح مقلد الغنيمي: **موسوعة تاريخ المغرب العربي**, ط1, مكتبة مدبولي, القاهرة, 1994م، ج3,ص365.

7- محمد الطمار: **الروابط الثقافية بين الجزائر والخارج**, الشركة الوطنية للنشر والتوزيع, 1983م، ص 142.

8 - المرجع نفسه: ص141.

9 - **بجاية** :تقع على ساحل البحر المتوسط، و هي من أهم مدن المغرب الأوسط يقول الإدريسي : " مدينة بجاية في وقتنا هذا هي مدينة المغرب الأوسط و عين بلاد بني حماد "، و كانت عاصمة لدولة بني حماد الصنهاجية، و اشتهرت بنشاطها الاقتصادي، فيذكر الإدريسي أن أهلها مياسير تجار و بها الصناعات و الصناع ما ليس بكثير من البلاد كما أن لها بوادي و مزارع تتوفر فيها المحاصيل الزراعية و الفاكهة؛ أبو عبد الله الشريف الإدريسي: **نزهة المشتاق في اختراق الأفاق** ، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1983م ، ص 96 ؛ كمال السيد أبو مصطفى : **جوانب من الحياة الاجتماعية و الاقتصادية و الدينية و العلمية في المغرب الإسلامي من خلال نوازل و فتاوى المعيار المعرب للونشريسي** ، مركز الإسكندرية للكتاب ،مصر ، 1999،ص ص25.

[10]- **تلمسان :** بكسرتين فسكون مركبة من تلم بمعنى تجمع وسان بمعنى اثنين أي تجمع بين التل و الصحراء وهي في سفح جبل بني ورنيد المار جنوبا و يسمى قابلتها بالصخرتين و ينحدر منه نهر سطفسيف المار بشرقها ليلتقي بنهر يسر ثم بنهر تافنا و ينحدر منه ساقية النصراني و تلمسان مدينتان أحدهما قديمة تعرف بالأقادير أسسها بنو يفرن و هم أوسع بطون زناتة قبل الإسلام والثانية أجادير كما سميت تاقرارت باسم معسكر في العهد الإدريسي ، و قد تأسست مدينة تاجررات تلمسان الجديدة من قبل يوسف بن تاشفين سنة (473هـ/1081م)و عرفت الحركة الفكرية بها نشاطا في عهد المرابطين، فأصبحت تلمسان مقرا لولايتهم في المغرب الأوسط إذ شيدوا القصر و جعلوه مقرا للتواصي و بنو المسجد الأعظم أو الجامع الكبير سنة (530هـ/ 1136م) و أصبحت تلمسان حاضرة من حواضر المغرب الإسلامي. و عقب استيلاء عبد المؤمن بن علي على تلمسان (534هـ/1139م)،تزايد التوسع العمراني بها موازاة مع تزايد النشاط التجاري من جهة و انتشار التعريب و الثقافة الإسلامية من جهة أخرى و حظيت تلمسان من جديد بعناية الموحدين لها حيث ابقوا عليها كمقـر لولايتهم و مركز إشعاع و أعطاها عبد المؤمن الأولوية كمركز ثقافي نظرا لما آلت إليه المدينة من تطور و ربما لكونها قريبة من مسقط رأسه بتاجرا. و من الأعمال التي قام بها عبد المؤمن بن علي بمدينة تلمسان،تجديد المسجد الجامع و بناء قصر المشور سنة 540هـ و عقد مجالس العلم و نشر التعليم الإجباري،فأصبحت تلمسان من حصون الموحدين الهامة لنشر دعوتهم بالمغرب الأوسط. أنظر : مبارك بن محمد الميلي، تاريخ الجزائر في القديم و الحديث،ج2،تقديم وتصحيح محمد الميلي، المؤسسة الوطنية للكتاب،الجزائر ،ص ص 444-445. /عبد الحميد حاجيات، عبد الحميد حاجيات،**تلمسان مركز الإشعاع الثقافي في المغرب الأوسط**، مجلة الحضارة الإسلامية،العدد الأول،1993،ص،ص 37. 183 ؛ علي محمد محمد الصلابي ،**صفحات مشرفة من التاريخ الإسلامي في الشمال الإفريقي الجوهر الثمين في معرفة دولة المرابطين**،ط1،ج4،مكتبة الإيمان بالمنصورة،أمام الجامع الأزهر،ص 312.

[11]- **المهدية :"**308/303هـ" تقع بساحل افريقية وبينها وبين القيروان ستون ميلا، وكانت قاعدة إفريقية، ينظر: أبو عبد الله الحميري: **الروض المعطار في خبر الأقطار** ، تحقيق : إحسان عباس ، ط1 ، مكتبة لبنان ، بيروت ، 1975، ص: 561 -562؛ و هي مدينة جليلة بناها عبيد الله بشبه جزيرة جمة بين سوسة و صفاقس ، و لما أتم بنائها أطلق عليها اسم المهدية ، و نقل إليها حكومته

سنة 308هـ واتخذا عاصمة دولته، و قد وصفها الأديب التيجاني في رحلته بالقرن السابع الهجري فقال : " المهدية مدينة جليل قدرها ،شهير في قواعد الإسلام ذكرها، و هي من بناء عبيد الله المهدي أول خلفاء العبيديين.؛ رابح بونار : **المغرب العربي تاريخه وثقافته**, ط2, الشركة الوطنية للنشر والتوزيع, الجزائر, 1981م ، ص 130.

[12] - محمد بن محمد الأندلسي: **الحلل السندسية في الأخبار التونسية**، ط1، دار الغرب الإسلامي، لبنان، 1985، مج2،ص73،72.

[13] - أحمد بن الخطيب(القنفد القسنطيني): **معجم زمن الصحابة و أعلام المحدثين و الفقهاء و المؤلفين**، ب ن ، بيروت، 1982، ص 268.

[14] - ابن خلدون : **العبر** ،ج6،ص 352.

[15]- أحمد حسن خضيري: **علاقات الفاطميين في مصر بدول المغرب** ،ط1 ، مكتبة مدبولي ،القاهرة ،1996، ص .ص، 78، 79.

[16]- الغنيمي: المرجع السابق، ص 372،371.

[17]- أحمد أبو عبد الرزاق: **الأدب في عصر دولة بني حماد** ، الشركة الوطنية للنشر و التوزيع ، الجزائر ،1979م ،ص 215.

[18] - محمد الطمار: المرجع السابق، ص 162.

19- تضاربت الروايات التاريخية التي تسرد لنا نسب المرابطين ،فقد ذكرت البعض منها أنهم من قبائل صنهاجة، وهذه الأخيرة تنطوي تحتها أكثر من سبعين قبيلة بربرية أشهرها لمتونة وجدالة ولمطة ومسوفة وهي القبائل التي على أساسها ستتشكل دولة المرابطين، ويرى بعض المؤرخين من أمثال ابن عذاري أن نسب المرابطين يرجع إلى لمتونة أحد بطون صنهاجة التي ترأست بقية القبائل ، لذا انفردت لمتونة بلقب الملثمين ، ثم صار هذا اللقب شعار يطلق على كل من ساند و أيد لمتونة. ويرى صاحب الحلل الموشية أن نسب أمراء دولة المرابطين ينتمي إلى جد مشترك يدعى منصور ، وافترقت أفخاذهم من الجد " تورقيت بن ورتاقطن بن منصور بن مصالة بن أمية بن وانمالي الصنهاجي؛ ينظر: مجهول : **مفاخر البربر** ، تحقيق : عبد القادر بوباية ، ط1 ، دار أبي رقراق ، الرباط ، 2005 ، ص 144 ؛ مجهول : **الحلل الموشية في ذكر الأخبار المراكشية** ، تحقيق : سهيل زكار وعبد القادر زمامة ، ط1 ، دار الرشاد الحديثة ، الدار البيضاء ، 1979 ، ص17، 24 ؛ ابن عذاري المراكشي : البيان المغرب

،ج4،، ص 17 ؛ ابن الأثير: **الكامل في التاريخ،** تحقيق محمد يوسف الدقاق ،ط 1 ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، 1987 ،ج8 ، ص 327 وما بعدها ؛ علي محمد الصلابي : **دولة المرابطين** ، دار ابن الجوزي ، القاهرة ، 2007، ص09.

20- نسبة إلى قبيلة زناتة أكبر القبائل البربرية كانت تعيش حياة البدو و الرحل ، و كانت تتواجد في المناطق التي تمتد بين نهر الشلف و المحيط الأطلسي ، و كانت فروع أخرى منها تعيش في المناطق التي تمتد في المغرب الأوسط . للمزيد أنظر : محمد بن عميرة : **دور زناتة في الحركة المذهبية بالمغرب الإسلامي** ،المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر ، 1984، ص15 ،16.

21- حمدي عبد المنعم محمد حسين: **التاريخ السياسي و الحضاري للمغرب و الأندلس في عصر المرابطين،** دار المعرفة الجامعية،مصر،1997م،ص ص ، 232،229.

22- فاس تقع ببلاد المغرب، يشقها نهر آبير يقسم المدينة إلى عدوتين، القرويين والأندلس، بينها وبين سجلماسة مرحلة، أنظر: الإدريسي: المصدر السابق، ص: 131.

23 - أبي عبد الله لسان الدين ابن الخطيب: **أعمال الأعلام في بيع قبل الاحتلام من ملوك الإسلام**, وما يتعلق بذلك من الكلام, تحقيق: سيد كسروي حسن, ط1, دار الكتب العلمية, بيروت, 2003م، ج2، ص 375.

24 - الغنيمي: المرجع السابق، ص 375.

25- هي عبارة عن جزيرة تقع في حوض البحر الأبيض المتوسط- بحر الروم- و هي أكبر جزر ذلك البحر، و تقع إلى الجنوب من إيطاليا و لا يفصلها عنها إلا مضيق صغير، و تبعد عن شمال إفريقيا بحوالي 165 كيلا و هي مثلثة الأضلاع تقريبا ، و تبلغ مساحتها 25815 كلم مربع ؛ محمد بن علي بن محمد الزهراني: **الحياة العلمية في صقلية الإسلامية 412/447هـ-1091/826م** ، مركز بحوث العلوم الاجتماعية-جامعة أم القرى،السعودية،1996م،ص 31.

26 - المرجع نفسه: ص 530.

27 - عويس: المرجع السابق، ص284.

28 - أحمد أبو عبد الرزاق: المرجع السابق ،ص 265.

29 - أبو القاسم درارجة: **العلاقات الثقافية بين المغرب الأوسط و الأندلس**،بحوث جامعة الجزائر، العدد21 ، 1994م ، ص170.

30 - أحمد أبو عبد الرزاق : المرجع السابق ، ص260.

31 - أبو القاسم درارجة : المرجع السابق ،ص 174 ، 175.

32 - أبو العباس أحمد الغبريني: **عنوان الدراية في من عرف من العلماء في المائة السابعة لبجاية**، تحقيق رابح بونار، ط1، الشركة الوطنية للنشر و التوزيع، الجزائر 1981م ، ص 55.

33 - أبو القاسم درارجة: المرحع السابق ، ص 180.

34 - محمد الطمار : المرجع السابق ، ص 162.

35 - أبو القاسم درارجة: المرحع السابق ، ص 186.

36 - بن الذيب: المرجع السابق ، ص 95.